الحمامة البيضاء

قصة زكريا تامر
رسوم عدلي رزق الله



حَطَّتِ الحَمَامَةُ عَلَى ضِفَّةِ نَهْرٍ مِنَ الأَنْهَارِ ، وَبَكَتْ ،
فَأَطَلَّتْ سَمَكَةٌ مِنَ النَّهْرِ ، وَقَالَتْ لِلْحَمَامَةِ : « لِماذا تَبْكِينَ ؟
هَلْ أَنْتِ مَرِيضَة » ؟



قَالَتِ الحَمامَةُ : « أنا أبْكي لأَني قَدْ عُدْتُ إلى عُشّي فَلَمْ أَجِدْ فيهِ ابْنَتي ، وَلا بُدَّ أنّها ضاعَت » .

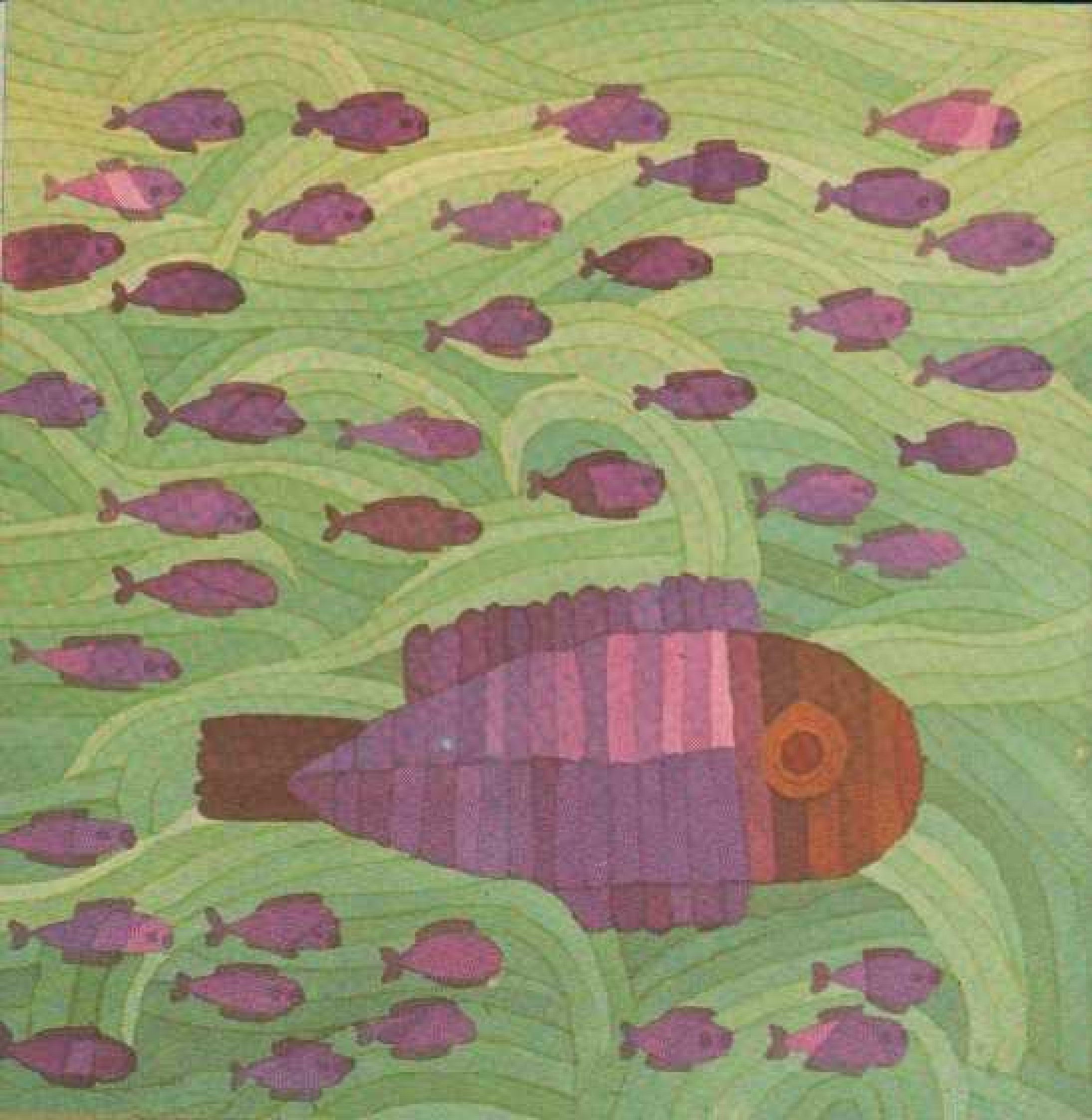
قَالَتِ السَّمَكَةُ : « يَحقُّ لَكِ أنْ تبْكي ، فأنا أيْضاً أمٌ مِثْلُكِ وَأعْرِفُ جيّداً ما تَشْعُرُ بِهِ الأُمّهاتُ يَوْمَ يَمَسُّ الأَذى أوْلادَهُنَ » .

قَالَتِ الحَمامَةُ : « مَا يُضاعِفُ ألَمي أنَّ ابْنَتي مَا زالَتْ صَغيرَةً ، وَلَمْ تَتَعلَّمْ كَيْفَ تُدافِعُ عَنْ نَفْسِها » .

قَالَتِ السَّمَكَةُ : « سأُعاوِنُكِ وَسأَبْحَثُ عَنِ ابْنَتِكَ في النَّهْرِ كُلِّهِ » .

قَالَتِ الحَمامَةُ : « لَا فائِدَةَ مِنْ بَحْثِكِ ، فَلَنْ تَجِدي ابْنَتي المِسْكينَةَ في النَّهْرِ ، فَمَنْ يَمْلِكُ جَناحَيْنِ لَا يَحْيا في المَاءِ » .

قَالَتِ السَّمَكَةُ : « إذَنْ تابِعي البَحْثَ عَنْها ، فَالْبُكاءُ لَا يَنْفَعُ وَلَنْ يُعيدَ إلَيْكِ ابْنَتَكِ » .



طَارَتِ الحمامَةُ ، وَاسْتأْنفَتْ بَحْثَهَا عَنِ ابْنَتِها الصَّغيرَةِ الضَّائِعَةِ ، وَلكِنّهَا بَعْدَ أَمَدٍ قَصِيرٍ تَعِبَتْ ، فَحَطَّتْ عَلى أَرْضِ حقْلٍ أَخْضَرَ ، وَهُنَاكَ تَخَيَّلَتِ ابْنَتَهَا الحَمَامَةَ الصَّغِيرَةَ الضَّعِيفَةَ الجَنَاحَيْنِ ، حَائِرَةً مُضْطَرِبَةً مَذْعُورَةً ، يَتَصَاعَدُ هَدِيلُهَا مُسْتَغيثاً مُنادِياً أُمَّهَا ؛ عِنْدَئِذٍ بَكَتِ الحَمَامَةُ الأُمُّ فَقَالَ لَهَا أَحَدُ الأَرانِبِ مُتَسَائِلاً : « لِمَاذَا تَبْكِينَ ؟ إِذا كَانَ الجُوعُ هُوَ الَّذي يُبْكِيكِ فَسَأُرْشِدُكِ إِلى بُسْتَانٍ مَلِيءٍ بِأَفْضَلِ أَنْواعِ الجَزَرِ » .

قَالَتِ الحَمَامَةُ : « مَا يُبْكِينِي لَيْسَ الجُوعُ . إِنِّي أَبْكِي لأَنِّي قَدْ أَضَعْتُ ابْنَتِي الصَّغِيرَةَ ، وَبَحَثْتُ عَنْهَا في كُلِّ مَكَانٍ ، وَلَمْ أَنْجَحْ في العُثُورِ عَلَيْهَا » .

قَالَ الأَرْنَبُ : « أَنَا سَرِيعُ الرَّكْضِ وَسَأُعَاوِنُكِ في بَحْثِكِ » .



شكَرَتِ الحمَامَةُ لِلأَرْنَب رَغْبَتَهُ في مُسَاعدَتِها ، ولكِنّها قَالَتْ لَهُ : « الحمَامَاتُ الصَّغيرات مُتَشَابِهَات ، وَإِذَا شَاهَدْتَ ابْنَتي فَلَنْ تَعْرِفَهَا ، وَلَا أَحَدَ غَيْرِي أَنَا ، أُمَّهَا ، يَسْتَطِيعُ التَّعَرُّفَ إِلَيْها » .

وَطَارَتِ الحمَامَةُ مِنْ جَديدٍ لِتُعَاوِدَ بَحْثَهَا عَنِ ابْنَتِهَا المَفْقُودَة . شَاهَدَتِ الحَمَامَةُ حِمَاراً كَانَ مُنْهَمِكاً في أَكْلِ كَوْمَةٍ مِنَ العُشْبِ ، فَقَالَتْ لَهُ مُتَسَائِلَةً : « هَلْ شَاهَدْتَ حَمَامَةً صَغِيرَةً بَيْضَاء » ؟

قَالَ الحِمَارُ مَدْهُوشاً : « مَا هَذَا السُّؤالُ الغَرِيْبُ العَجِيب ؟! هَلْ سَبَقَ لأَحَدٍ أَنْ أَبْصَرَ حِمَاراً يُحَدِّقُ إِلى السَّمَاءِ ؟ الحِمَارُ يَنْظُرُ دائماً إِلى الأَرْضِ الّتي سَيَطَأُهَا بِحَوَافِرِهِ خَشْيَةَ الوُقُوعِ في حُفْرَة » .



فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ اقْتَرَبَتْ قِطَّةٌ سَوْدَاءُ اللَّوْنِ مِنَ الحِمَارِ وَالْحَمَامَةِ ، وَسَأَلَتْهُمَا بِفُضُولٍ : « عَمَّ تَتَحَدَّثَانِ » ؟ !

قَالَتِ الحَمَامَةُ لِلْقِطَّةِ : « هَلْ رَأَيْتِ حَمَامَةً صَغِيرَةً بَيْضَاءَ » ؟

قَالَتِ القِطَّةُ : « لَيْتَنِي شَاهَدْتُهَا ! فَلَوْ شَاهَدْتُهَا لَكَانَتِ الآنَ مُسْتَقِرَّةً فِي بَطْنِي » .

قَالَتِ الحَمَامَةُ لِلْقِطَّةِ : « يَا لَكِ مِنْ قِطَّةٍ سَيِّئَةِ الأَخْلَاقِ ! هَلْ هَذَا كَلَامٌ يُوَجَّهُ إِلَى أُمٍّ تَتَأَلَّمُ » ؟ !

قَالَتِ القِطَّةُ : « اسْمَحِي لِي بِأَنْ آكُلَكِ فَتَتَخَلَّصِي مِنْ آلَامِكِ وَأَحْزَانِكِ كُلِّهَا » .

غَضِبَ الحِمَارُ ، وَقَالَ لِلْقِطَّةِ : « إِذَا لَمْ تَبْتَعِدِي فَوْراً فَسَأَرْفُسُكِ رَفْسَةً تَرْمِي بِكِ وَسَطَ مِئَةِ كَلْبٍ » .





فَسارَعَتِ القِطَّةُ إلى الهَرَبِ بَيْنَما قالَتِ الحَمامَةُ : « ماذا أَفْعَلُ ؟ اللَّيْلُ مُوشِكٌ عَلَى القُدُومِ ، وَشَمْسُ النَّهارِ سَتَغِيبُ قَرِيباً » .

قالَ الحِمارُ : « هَيّا ، هَيّا تابِعِي البَحْثَ عَنِ ابْنَتِكِ وَلا تُضَيِّعِي الوَقْتَ فِي التَّكَلُّمِ مَعَ حِمارٍ » .

طارَتِ الحَمامَةُ ، وَاسْتَأْنَفَتْ تَفْتِيشَها عَنِ ابْنَتِها بَيْنَما كانَ الظَّلامُ يُقْبِلُ رُوَيْداً رُوَيْداً . وَعِنْدَما أَمْسَتِ الحُقُولُ مُظْلِمَةً عادَتِ الحَمامَةُ إِلى عُشِّها حَزِينَةً باكِيَةً ، وَلكِنَّها فُوجِئَتْ



بِابْنَتِهَا الحَمَامَةِ الصَّغِيرَةِ فِي العُشِّ ، فَصَاحَتْ فَرِحَةً :
« أَهَذِهِ أَنْتِ ؟! أَيْنَ كُنْتِ ؟ هَلْ ضِعْتِ » ؟
قَالَتِ الحَمَامَةُ الصَّغِيرَة : « لَقَدْ هَرَبْتُ مِنَ العُشِّ » .
قَالَتِ الأُمُّ : « مَاذَا تَقُولِين ؟ أَتَهْرَبِينَ مِنْ أُمِّكِ الَّتِي تُحِبُّكِ أَعْظَمَ الحُبِّ » ؟!
قَالَتِ الحَمَامَةُ الصَّغِيرَةُ : « هَرَبْتُ لِأَتَفَرَّجَ عَلَى الدُّنْيَا خَارِجَ العُشِّ ، ثُمَّ ضِعْتُ » !
قَالَتِ الأُمُّ : « وَكَيْفَ عُدْتِ » ؟
قَالَتِ الحَمَامَةُ الصَّغِيرَةُ : « لَا أَدْرِي » .



فَتَذَكَّرَتِ الأُمُّ كَيْفَ ضَاعَتْ هِيَ يَوْمَ كَانَتْ صَغِيرَةَ السِّنِّ ،
وَأَرْشَدَهَا إِلَى العُشِّ حُبُّهَا لِلْمَكَانِ الَّذِي وُلِدَتْ فِيهِ ، ثُمَّ
قَالَتْ لابْنَتِهَا الصَّغِيرَةِ : « كُلُّ الَّذِينَ يَبْتَعِدُونَ ضَائِعِينَ عَنْ
بُيُوتِهِمْ سَيُرْشِدُهُمْ حُبُّهُمْ لِبُيُوتِهِمْ إِلَى طَرِيقِ العَوْدَةِ إِلَيْهَا » .

تضم هذه السلسلة مجموعة حكايات معبرة، أبطالها من الطيور والحيوانات والأطفال، مكتوبة بأسلوب مشوق ومزدانة بلوحات فنية تساعد على توضيح أحداثها.

صدر من هذه السلسلة:

١ - الشجرة
٢ - الفيل يجد عملا
٣ - بديع الزمان
٤ - القفص الذهبي
٥ - الحمامة البيضاء
٦ - جزيرة الضياع
٧ - عودة الطائر
٨ - السلحفاة الحكيمة
٩ - ندم حصان
١٠ - بيت للورقة البيضاء
١١ - وحيد القرن والعصافير
١٢ - الفيل في الصحراء
١٣ - نرجس
١٤ - الريش الجميل
١٥ - الطفل والمطر
١٦ - القط الكسلان
١٧ - الشراع الأبيض
١٨ - الجراد في المدينة
١٩ - صيام الثعلب
٢٠ - الفأر والجبل
٢١ - الفلاح والتنين
٢٢ - الصياد وديك الحجل
٢٣ - الصقر والصغار
٢٤ - خنجر السلطان
٢٥ - الغضب
٢٦ - غزال يحب الأسئلة
٢٧ - جواد الأرض الخضراء
٢٨ - البلبل الصغير الشريد
٢٩ - حصان العم رضوان
٣٠ - رحلة الدجاجة الذكية
٣١ - الفأس
٣٢ - السلطان والقمر
٣٣ - مدينة الألوان
٣٤ - عصفور الجنة
٣٥ - في المدرسة
٣٦ - حسن والغول
٣٧ - الأرنب الشارد
٣٨ - يا ليل يا عين
٣٩ - القصة الصغيرة

الحمامة البيضاء

الطبعة الاولى ١٩٧٥
الطبعة الثانية ١٩٧٧
الطبعة الثالثة ١٩٨٢
الطبعة الرابعة ١٩٨٨

[illegible]

دار
الفتى
العربي
للنشر والتوزيع

كورنيش المزرعة. بناية الفرا. ص.ب ١٤/٥٣٣٦. بيروت - لبنان

